بمناسبة المهرجان الألفي لأبي الطيب في دمشق

دين المتـــنبي

للأستاذ سعيد الأفغاني

عاش في هذه الدنيا قبل ألف عام رجل قضى إحدى وخمسين سنة يعمل في حياته للمجد، ركب إليه المكاره واقتحم الغمرات؛ أراده مرة من طريق الدين فخاب، ثم راوغه من طريق الولاية فأخفق، ثم مضى قُدُماً يجالد دون سبيله هذه جيوشاً من أذى الأعداء ونكاية الحساد وكَلَب الزمان وتخلف الجد

تقاذفته الأقطار ضارباً في الأرض: من حلب، إلى دمشق، إلى فلسطين، الى مصر، إلى العراق، إلى فارس؛ حتى إذا ملأ الدنيا وشغل الناس وقفل راجعاً من شيراز وشارف بغداد وحط في سوادها الغربي، أحاط به أعداؤه في دير العاقول ليقتالوه، فقاتلهم قتال المستبسل المستميت حتى سقط دفاعاً عن نفسه وشرفه، فصعدت روحه إلى بارئها يحاسبها على ما قدمت في عاجلها من خير أو شر

وإذا كان موضوعنا البحث في دين الرجل فلا بد أن ننبه قبل الشروع فيه إلى أنا سنخرج على ذلك السخف التقليدي الذي توارثناه في عصورنا الأخيرة جيلاً عن جيل، في تكفير الناس من أجل كلمة قالوها أو عمل قاموا به؛ تتعلق لذلك بأوهى الأسباب وتتكلف له كل التكلف لنخرج مسلماً عن دينه وإن كرهناه، أو نؤول له ما زل به لسانه إن أحببناه. تعقد لذلك المجالس في المساجد والمدارس وعند السلطان؛ وتؤلف الرسائل وتثار الفتن وتراق الدماء، حتى لقد سوّل الشيطان لبعض الحكام أن يتخذ من عبدة الهوى هؤلاء مطايا يركبها إلى غاياته فيمن يكره من كل آمر بمعروف أو جبّاه بحق أو ثائر على ظلم، فما أسرع ما كانت تخرج الفتيا بالتكفير، وما أسرع الحاكم حينئذ إلى البطش والفتك

ولولا الخروج عن الموضوع لأفضت في شرح هذه الناحية من تاريخنا وما أدت إليه من سوء العقبى، وما جرت على العلم والدين من ويلات وخراب، وخاصة أخريات عصور الجهل، يوم كان يضطلع بهذه المهازل شيخ الاسلام في السلطنة العثمانية.

وحسب المرء أن يذكر على سبيل التمثيل آراء المحبين والمبغضين في أجلاء الصحابة — رضي الله عنهم — صدر تاريخنا، ثم أقوال هؤلاء وهؤلاء في الحلاّج ومحيي الدين بن عربي وتلك الطبقة. بل مالي أعمد إلى التاريخ البعيد وفي فجر نهضتنا مثل صالحة من ذلك. فاذكروا إن شئتم الأئمة جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا ومن لف لفّهم. ألم يرفعهم قوم إلى درجات المصلحين المجتهدين، ويهبط بهم آخرون إلى دركات الكفار أعداء الدين؟!

وغريب منهم هذا الفضول والتطفل والله تعالى لم يجعل إلينا أمر الناس، حتى نزج أنفسنا في هذه المزالق. ومتى ملك بشرٌ أمر بشر والله يقول: «ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء.» أما كان في خويصة أنفسهم ما يشغلهم عن الناس والتحكم في آخرتهم؟ وما كان أقربهم من إنصاف لو عرضوا القول أو الفعل على الحق فسموا الأشياء بأسمائها وحكموا عليها بالخطأ أو الصواب ولم يحمّلوا النصوص ما لا تحمل ووكلوا أمر الناس إلى الله، إذن لوفروا على أنفسهم عنتاً طويلاً ووقتاً سيسألهم الله عن إنفاقه في هذه السفاسف والآثام، وجهوداً لم يرزقهم الله إياها ليفرقوا دينه شيعاً ويؤلبوا عباده بعضهم على بعض

وأنا إذ أعرض لدين المتنبي فانما أحكم على أقوال قالها وعلى هنات صدرت عنه، فأعرضها على الحق، وسواء على الباحث، اذا اجتهد وأخلص، أكان المتنبي بعد ذلك مسلماً أم ملحداً، فما لنا إيمانه ولا علينا كفره، ولا يملك إنسان لانسان عذاباً ولا ثواباً

* * *

أمهد لبحثي بكلمة عن الحالة الدينية في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وهو الأمد الذي عاش فيه شاعرنا؛ وأنا حين أفيض فيه إنما أتكلم عن المتنبي نفسه لشدة العلاقة بين الرجل وعصره، ولأن كل شيء من أحوال ذلك العصر كان يهيء للدعوات السياسية والدينية. وسنرى أن تنبؤ أبي الطيب ليس بالأمر الأد في ذلك الزمن الذي يعجّ بالاحزاب والنحل وأهل الأهواء

كان الدين أروج التجارات حينئذ في جميع الأقطار الاسلامية؛ فمن بغى ملكا تذرع له بالدين، ومن أراد ثورة جعل شعارها الدين، ومن دعا إلى نحلة فانما سلاحه هذا الوتر الحساس من النفوس؛ ودولة بني العباس إذ ذاك منكمشة في رقعة صغيرة في

العراق ، تعيش مع ذلك خاضعة لسلطان الأمراء المتغلبين من الفرس أو الديلم أو الترك ، والانتساب إلى آل بيت الرسول — صلى الله عليه وسلم — أمضى سلاح يصرفه الخوارج وأرباب الأطماع

كان في حلب بنو حمدان وهم علوية ، وانقرض الأغالبة في المغرب فدعى للفاطميين في رقادة من أرض القيروان سنة ٢٩٦ وهم ينتسبون إلى فاطمة ، وكل خارج على الدولة إنما كان يدعو الناس الى الرضى من آل محمد ، وكان في تعاليم الشيعة ما يحفز الطامحين الى شق العصا : كلٌّ يدعي أنه الامام المنتظر

وأعظم النحل تسلطاً ونفوذاً يومئذ ثلاث : الباطنية والشيعة والحنابلة ، وهؤلاء الأخيرون انحصر سلطانهم في بغداد فترة من الزمن فقط ، بينما انبث دعاة الشيعة والباطنية في كثير من الأقطار . وكان أهول الجميع خطراً وأبعدهم أثراً القرامطة ، وهم طائفة مؤولة باطنية حلولية ، جعلوا للشرع ظاهراً وباطناً ، وبنوا مذهبهم على تأويل الأحكام والآيات . ظهروا سنة ٢٧٨ هـ وانتشروا بالشام وسواد الكوفة ، ثم اشتد أمرهم حتى زحفوا على حمص ، وخضعت لهم دمشق على جزية ، ثم زحفوا إلى الكوفة وعظم خطرهم وتفاقم شرهم ، وعجز جند الخلافة عن إخضاعهم « وما زال أمرهم إلى قوة حتى استولوا على أكثر بلاد الفرات ، وأسسوا دولة بالبحرين ، ودحروا جيوش الخليفة المقتدر ، وثارت منهم طائفة في نواحي الحجاز ، فانقطع الحج سنين خوفاً منهم . ولما أرسل اليهم المقتدر جيشاً بقيادة منصور الديلمي دحروه وقتلوا الحجاج يوم التروية في المسجد الحرام قتلاً ذريعاً وطرحوا القتلى في بئر زمزم ، واقتلع زعيمهم الحجر الأسود من مكانه في الكعبة ، وأخذه معه إلى هجر حيث بقي اثنين وعشرين عاماً حتى رد إلى مكانه أيام المطيع العباسي سنة ٣٩٣ »

ذكر المعري في رسالة الغفران : « أن للقرامطة بالأحساء بيتاً يزعمون أن إمامهم يخرج منه ويقيمون على باب ذلك البيت فرساً بسرج ولجام ، ويقولون للعميّ والطغام : (هذه الفرس لركاب المهدي يركبه متى ظهر .) وإنما غرضهم بذلك خدع وتعليل ، وتوصل إلى المملكة وتضليل . ومن أعجب ما سمعت أن بعض رؤساء القرامطة في الدهر القديم لما حضرته المنية ، جمع أصحابه وجعل يقول لهم لما أحس بالموت : (إني قد عزمت على النقلة وقد كنت بعثت موسى وعيسى ومحمداً ، ولا بد لي أن أبعث غير هؤلاء) فعليه اللعنة ، لقد كفر أعظم الكفر في الساعة التي يؤمن فيها الكافر ، ويؤوب إلى آخرته المسافر » اهـ

نجد أن القرامطة أخذوا بالحلول والتناسخ المتسربين إلى المسلمين من الهند وفارس ، وشاركوا بعض فرق الشيعة في فكرة الامام المنتظر ، وأصبح من ديدن كل داعية إلى بدعة أو خروج على سلطان ، أن ينتسب إلى علي رضي الله عنه ، أو أن يدعو إلى الرضى من آل محمد إن تعذرت عليه النسبة مباشرة . وكثر هؤلاء الدعاة والخارجون ، وفشت فاشيتهم حتى امتلأت حوادث تلك الأيام بذكرهم . وكان سقوط هيبة الخلافة وانحلال العصبية العربية من أهم العوامل في كثرة تلك الطوائف والانقسامات . وأصبحت الدنيا في كل مكان لمن غلب ، وجهر المتغلبون وجنودهم بضروب من المناكر أنفدت صبر البقية الصالحة ، فثار في بغداد جماعة من الحنابلة ، واضطرمت قلوبهم بالغيرة على الدين من أن تنتهك محارمه ، فأجمعوا أمرهم وانتظموا معسكرات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بالقوة والسلاح ؛ واستفحل شأنهم وقويت شوكتهم ، حتى صاروا يكبسون بيوت القواد والعامة فحيثما « وجدوا مسكراً أراقوه ، أو مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء . » ولم يطل بهم الزمان حتى أذعنوا لمؤثرات العصر ، فتسرب إلى جماعات منهم أقوال هي إلى الحلول والتشبيه ، واندس في غمارهم — على ما يظهر — أناس ليسوا منهم ، فعظمت أذيتهم على الناس ، فتقدم اليهم الخليفة بالانذار فما أفاد ، فاضطر إلى قمعهم بالقوة واراحة الناس منهم

هذا إلى أناس كثيرين جعلوا الدين وسيلة إلى الدنيا يتاجرون به متاجرة ، فيوماً تراهم معتزلة ويوماً شيعة ؛ وحيناً باطنية وتارة حلولية يقولون بالتناسخ ، يميلون مع الريح حيث مالت ، ويعرضون في كل سوق ما يروج فيها ، لا يرجعون إلى عقيدة ، ولا يصدرون عن إيمان ، بل هم أبداً متقلبون « يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم »

* * *

تلك هي حال الدين في عصر أبي الطيب وفي البلاد التي حل فيها . فما ظنكم بفتى دون العشرين من عمره ، يتوقد ذكاء ، ويتفجر فصاحة ، طماح مغامر ، يعشق السيادة ، وينشد المجد بكل قوته ، التفت حوله فما رأى إلا جماهير بلا عقل ، تتبع كل ناعق ، عليهم رؤساء جهال ، لا علم لهم ولا فضل ولا أدب ، ما فهم على

كثرتهم من يقاربه فى ذكائه ومواهبه وعظم نفسه ، ثم أبصر سوق الدعوات رائجة كل الرواج ، وكان فى طبيعة كثير منهم ما يدعو الطامح إلى محاولة السيادة عن طريق الدين

شاء هذا الفتى أن يقيم نسبة بين دعوتهم ودعوته تتسق هى والفرق بينهم وبينه ، فاذا كان فيهم من ادعى أنه الامام المنتظر ، أو المهدى ، أو الرضى ، فان النسبة تقضى أن يدعى النبوة دفعة احدة ، وقد فعل

ولا مندوحة لى هنا عن القول بأن تنبؤه فى الأعراب أمر وقع حقيقة ولا سبيل إلى الشك فيه[1]، تضافرت على ذلك كل المصادر الموثوقة ، حتى التى كانت تميل إليه كل الميل ، فانها لم تنف الأمر وإنما التمست له المعاذير . وما كان أغناها عن ذلك ، فان فى السن التى وقعت فيها هذه الزلة العذر كل العذر ؛ وليس من الانصاف أن نلمز حياة خمسين سنة من أجل هنات كانت فى سن الفتوة . فلأشرع فى ذكر هذا التنبؤ بايجاز ، ثم لأفض فى علاقة الرجل بالدين مدى حياته . وسأعتمد فى قص الحادث على أبى العلاء خاصة ، لفضله ولتحريه وقرب زمانه . وسأعفى نفسى من أشياء كثيرة وردت فى (الصبح المنبى) لايقبلها عقل ولا تؤيدها قرائن

وقع المتنبى إلى بادية السماوة وأظهر دعوته ، فتبعه قوم من الأعراب من بنى كلب ، خلبهم بذلاقة لسانه ، وحسن بيانه . وتلا عليهم كلاماً زعم أنه أنزل عليه . نقله الأنبارى فى طبقاته عن أبى على بن حامد قال :

« وكان قد تلا على البوادى كلاماً زعم أنه قرآن أنزل عليه . فكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة ثم ضاعت وبقى أولها فى حفظى وهو : والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفى أخطار . امض على سننك واقف أثر من قبلك من المرسلين ، فان الله قامع بك زيغ من ألحد فى دينه وضل عن سبيله » .

وقد حفظ لنا التاريخ مشهداً من مشاهد هذه الدعوة فى اللاذقية ، ولا ريب أنه كان بعد أن توثق أمر المتنبى بعض التوثق فى البادية . قال أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقى :

« قدم أبو الطيب المتنبى اللاذقية فى سنه ٣٢٠هـ وكان عمره يومئذ سبع عشرة سنة وهو لا عذار له ، وله وفرة إلى شحمتى أذنيه ، فأكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته ؛ فلما تمكن الأنس بينى وبينه وخلوت معه فى المنزل اغتناماً لمشاهدته واقتباساً من أدبه قلت له : « والله إنك لشاب خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير . » فقال :

« ويحك ! أتدرى ما تقول ؟ أنا نبى مرسل . » فظننت أنه يهزل ، ثم تذكرت أنى لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له : « ما تقول ؟ » فقال : « أنا نبى مرسل . »

فقلت له : « مرسل الى من ؟ »

قال : « الى هذه الأمة الضالة »

قلت : « تفعل ما ذا ؟ »

قال : « أملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً »

قلت : « عاذا ؟ »

قال : « بادرار الأرزاق والثواب العاجل لمن أطاع وأتى ، وضرب الأعناق لمن عصى وأبى »

فقلت له : « إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر » وعذلته على ذلك فقال بديهاً :

أبا عبد الاله معاذ إنى ... خفى عنك فى الهيجا مقامى
ذكرت جسيم مطلبى وأنا ... نخاطر فيه بالمهج الجسام
أمثلى تأخذ النكبات منه ... ويجزع من ملاقاة الحمام
ولو برز الزمان إلى شخصاً ... لخضب شعر مفرقه حسامى

(١) قرأت أخيراً عدد المقتطف الذى كتبه الأستاذ شاكر عن المتنبى خاصة ، فاذا به يذهب إلى نفى تنبؤ أبى الطيب الذى اتفقت عليه كل المصادر تقريباً . وقد أنعمت فى تدبر الأسباب الحادية على النفى فلم أجد فيها مقنعاً به من القوة ما يقف لهذه الروايات الصحيحة

والتاريخ لا يثبت خبراً أو ينفيه تبعاً لميل مؤلف أو رأيه ، ولا بد فيه حال النفى من التعرض لجميع الأخبار المثبتة بالنوعين ، خبراً خبراً . وهذا لم يصنعه الأستاذ شاكر

وأمر ادعاء المتنبى العلوية ليس فيه ما يهيج عليه الناس كل هذا ، على رغم ذلك الخيال الجميل الذى ليس إدعاءه إياها فى الكتاب المذكور

وإذا كان ما ذهب إليه الأستاذ صحيحاً ، ففيم كان خجل أبى الطيب وحياؤه كلما سئل عن أمر لقبه (المتنبى) ؟ ولم كان يعمد إلى اشتقاقه من النبوة تارة ، ويحذر بأنه شىء كان فى الجاهلية تارة ، ويقول إنه يكره التلقب به ، وأنه ينادى به من يريد الغض منه ؟ وعلى أى شىء تقع كلمة كافور « من ادعى النبوة بعد محمد أما يدعى الملك مع كافور » ؟ وكافور ليس من الذين يختلقون على شاعر ولا ممن يروج الاختلاق

ولقد روى للمرى — وهو الحجة الثبت — أمر التنبؤ وما حف به من حادث ومعجزات ، فى رسالة الغفران . وأبو العلاء كان أحرى أن يشك أو يكذب الخبر لو أنت فى الأمر مجالا للشك وأجتالا للتكذيب لأنه أشد حباً للمتنبى وعصبية له ، وهو أنفذ بصيرة فيما يقال وأحكم نقداً للاخبار ، مع قرب زمن وصفاء ذهن وقوة حجة ومواتاة وسائل التحقيق إذ ذاك

وما بلغت مشيتها الليالى ولا سارت وفى يدها زمامى
إذا امتلأت عيون الخيل منى فويل فى التيقظ والمنام

بهذه القوة والاطمئنان يتحمس المتنبى لنصرة دعوته ويحاول تمكينها من القلوب ، فلنصغ إلى أبى العلاء المعرى فى رسالة الغفران يحدث عن معجزات نسبت الى أبى الطيب ، قال :

« وحدث أن أبا الطيب لما حصل فى بنى عدى وحاول أن يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : (ههنا ناقة صعبة فان قدرت على ركوبها أقررنا أنك نبى مرسل . وأنه مضى إلى تلك الناقة وهى رائحة فى الابل ، فتحيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة ، وتذكرت برهة ، ثم سكن نفارها ومشت مشى المسمحة ، وأنه ورد بها الحلة وهو راكب عليها ، فعجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم

وحدث أيضاً أنه كان فى ديوان اللاذقية ، وأن بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الأقلام فجرحته جرحاً مفرطاً ، وأن أبا الطيب تفل عليها من ريقه وشد عليها غير منتظر لوقته ، وقال للمجروح : لا تحلها فى يومك ، وعد له أياماً وليالى ، وأن ذلك الكاتب فعل منه ، فبرئ الجرح ، فصاروا يعتقدون فى أبى الطيب أعظم اعتقاد ويقولون هو يحيى الأموات

وحدث رجل كان أبو الطيب قد استخف عنده فى اللاذقية أو فى غيرها من السواحل ، أنه أراد الانتقال من موضع الى موضع ، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما كلب ألح عليهما فى النباح ، ثم انصرف ، فقال أبو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : إنك ستجد ذلك الكلب قدمات ، فلما عاد الرجل لقى الأمر على ماذكر

ولا يمتنع أن يكون أعد له شيئاً من الطاعم مسموماً وألقاه له وهو يخفى عن صاحبه ما فعل . » اه

هذا ما ذكر المعرى من معجزاته وقد ذكر غيره معجزات أخر نضرب عنها صفحاً ، لبعدها عن العقل ولأن راويها ليس فى التثبت بمكان أبى العلاء

وفى ديوان أبى الطيب قصيدتان قالهما فى صباه ، تفيضان أملاً وطموحاً وكفاحاً ، وأنا أجعل زمانهما فترة التنبؤ هذه ، حين كانت نفسه تجيش بأبعد المطامع وتوقن بالفوز والنجاح . لما وجد تلكؤ الناس عن اجابة دعوته فى مخلة — إحدى قرى بنى كلب — ومظاهرته بالعداء ، عزم على المضى بأمره وتحمل الأذى ، ورسم لنفسه هذه الخطة الواضحة فى قصيدته :

ما مقامى بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود
مفرشى صهوة الحصان ولكن قميصى مسرودة من حديد
أين فضلى إذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد
ضاق صدرى وطال فى طلب الرز ق قيامى وقل عنه قعودى
أبداً أقطع البلاد ونجمى فى نحوس وهمتى فى سعود
عش عزيزاً أومت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فاطلب العز فى لظى ودع الذ ل ولو كان فى جنان الخلود
إن أكن معجبا فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد
أنا ترب الندى ورب القوافى وسمام العدا وغيظ الحسود
أنا فى أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

ولما رزقت دعوته بوارق من الاقبال فى بنى كلب سكر بنشوتها وطفقت نفسه تحدثه بقرب تحقيق الأمنية ، ثم استمر خياله يبنى له هذا المجد حتى أنس من نفسه قوة وتحفزا ، فراح يتحدث بانفاذ ما رسم من خطة ، ولو وقفت دونه ملوك الأرض ، إلى أن تتم دعوته ويسود الناس . إن شئت فانظر فى هذه الأبيات أهى لهجة شاعر يفتخر ، أم إيمان طاح واثق من نفسه كل الثقة ؟

سيصحب النصل منى مثل مضربه وينجلى خبرى عن صمة الصمم
لقد تصيرت حتى لات مصطبر فالآن أقحم حتى لات مقتحم
لأتركن وجوه الخيل ساهمة والحرب أقوم من ساق على قدم

وما قولك فيمن سيغنى الأرض بالدماء عن الأمطار :

تنسى البلاد بروق الجو بارقتى وتكتفى بالدم الجارى عن الديم

ويخاطب نفسه هذا الخطاب النارى ، مشجعاً إياها ، مهوناً عليها أمر الناس فيقول :

ردى حياض الردى يا نفس واتركى
حياض خوف الردى للشاء والنعم
إن لم أذدك على الأوماح سائلة فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

ثم انظر هذا الانذار الشامل والوعيد الرهيب لأهل الأرض وملوك العجم والعرب :

ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً
ومن عصى من ملوك العرب والعجم
فان أجابوا فما قصدى بها لهم وإن تولوا فما أرضى لها بهم

هذه نفثة نفس جائشة تسلحت باليقين ورأت الخيال يلوح لها بقوة الحقيقة الواقعة ، مؤمن بالفوز ، واثقة من كفاءتها واضطلاعها بالأمور الجسام . وما أظن أبا الطيب حين قال هذه

القصيدة كاذباً فى نفسه ، لا بل كان يحدث عنها أصدق الحديث ، وإنما كان مخدوعاً ثائراً به شبابه الفائر ومواهبه المتقدة السراب ماء فذهب يصدف ما ترى به نفسه . وإلا فكيف تكون القصيدة أقوى ظهوراً منها فيما تلوت من شعره

تبعت أبا الطيب شراذم من عامة وأعراب ، ثم نمى خبره إلى لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيدية . وأنه يخشى أن يستفحل أمره « فخرج إليه لؤلؤ ، فقاتله وأسره وشرد من كان معه من بنى كلب وغيرهم من قبائل العرب . وحبسه فى السجن دهراً طويلاً حتى كاد يتلف ، فكانت حاله إلى الضراعة والاستكانة . وكانت هذه الضربة كافية فى إعادة رشده إليه وفى يقظته من حلمه اللذيذ الذى نعم به زمناً يسيراً فاستفاقت تلك النفس التى كانت تهذى فى حلمها وتقول :

إذا امتلأت عيون الخيل منى ... فويل فى التيقظ والمنام

وتقول :

ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً ... ومن عصى من ملوك العرب والعجم

وهبطت من عليائها إلى أسفل الدركات فقالت :

أمالك رقى ومن شأنه ... هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجا ... ء والموت منى كحبل الوريد

ثم سئل لؤلؤ فى أمره فاستتابه وكتب وثيقة وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الاسلام وأطلقه . وبهذا انطوت صحيفة من تاريخ أبى الطيب فى صباه ، على نزوة خلدها التاريخ على قلة ما يسجل للصبيان من نزوات

* * *

لم يفد أبو الطيب من مغامرته هذه إلا لقب (المتنبى) الذى لصق به على كره منه ، فكان يستحى بعد توبته كل الاستحياء . ذكر عنه المعرى أنه سئل عن حقيقة هذا اللقب فقال : « هو من النَّبْوة أى المرتفع من الأرض » ولما كان فى بغداد قال له أحد الأكابر : « خبرنى من أثق به أنك قلت إنك نبى ؟ » فقال أبو الطيب : « الذى قلته : أنا أحمد النبى »

قال أبو على بن حامد : « كان المتنبى فى مجلس سيف الدولة : إذا ذكر له قرآنه أنكره وجحده . وقال له ابن خالويه يوماً فى مجلس سيف الدولة : « لولا أن أخى جاهل لما رضى أن يدعى بالمتنبى لأن معنى المتنبى كاذب ، ومن رضى أن يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال أبو الطيب : لست أرضى أن أدعى بذلك وإنما يدعونى به من يريد الغض منى ، ولست أقدر على المنع »

ونقل صاحب طبقات الأدباء ص ٣٧١ عن التنوخى قال : قال لى أبى : « أما أنا فسألته بالأهواز عن معنى المتنبى لأنى أردت أن أسمع منه هل تنبأ أو لا ؟ فجاوبنى جواب مغالط وقال : « إن هذا شىء كان فى الحداثة ، فاستحييت أن أستقصى عليه فأمسكت »

وزعم جماعة أن اللقب لصق به لتشبهه بالمسيح مرة ، وبصالح مرة فى أبياته التى مرت

وكيفما كان فان الذين عاشوا فى زمن المتنبى وبعده مجمعون على ادعائه النبوة ، وكان هو يجهد أن ينفى التهمة فى حياته خجلاً وحياء . وليس بين الأمرين تناقض ولاداع إلى حيرة . وقد كان هذا اللقب على أبى الطيب من أشد ما كابد فى حياته : فقد منعه كافور الولاية بسببه ، ولما عوتب قال : « ياقوم ، من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ألا يدعى الملك مع كافور ؟ فحسبكم » وكلما أراد عدو أو شاعر ايلام المتنبى هجاه ونبزه بهذا اللقب

(للبحث بقية) سعيد الأفغانى

لجنة التأليف والترجمة والنشر

تاريخ الفلسفة اليونانية

للأستاذ يوسف كرم

المدرس بكلية الآداب

وهو إحدى حلقات السلسلة الفلسفية التى توالى اللجنة إصدارها ، وقد عرض المؤلف فى مقدمته للفكر اليونانى قبل الفلسفة ولهوميروس والألياذة والأوديسة ولرأيهم فى الطبيعة والآلهة وللحكماء والشعراء الخ

ثم تكلم فى أبوابه المرتبة على الطبيعيين الأولين وعرض للنظريات المختلفة فى أصول الأشياء والنفس والتناسخ وشرح وحدة الوجود والعناصر الأربعة والجوهر الفرد والطبيعة وما بعدها ؛ فلم يدع شيئاً يهم الباحث والمتعلم . كما أن بالكتاب تراجم مفصلة للفلاسفة ، وقاموساً نافعاً للأعلام والألفاظ الفلسفية ، وهو مطبوع باللجنة طبعاً متقناً على ورق جيد ويقع فى ٣٥٣ صفحة وثمنه ٢٠ قرشاً ، ويطلب من اللجنة بمقرها ٩ شارع الكرداسى بعابدين بمصر ، ومن المكاتب الشهيرة